

مَعَاهِدْ أَنْسٍ مِنْ أَرَاكَةِ أَسْلَمِ أَصْخْتُ لَهَا أَذْنِي فَلَمْ تَتَكَلَّمْ^(١)
 دَعْتَنِي فَلَبَّاهَا فُؤَادِي وَأَدْمَعُ سَقَى وَادِيهَا مِثْلَ صَوْبٍ مُثْجَمٍ^(٢)
 أَسْأَلُهَا عَنْ أَهْلِهَا فَتُجِيبُنِي فَأَصْغِي وَلَكِنَّ الصَّدَى صَوْتُ أَعْجَمٍ^(٣)
 وَمَا الْعَزَّ إِلَّا فَوْقَ كُلِّ مُطَهَّمٍ مِنَ الْجُرْدِ مَا بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ أَدْهَمٍ^(٤)
 مِنَ الصَّخْرِ إِلَّا أَنَّهُ فَوْقَ أَرْبَعٍ مِنَ الْهُوجِ قَدْ شَدَّتْ بِخَلْقِ مُطَهَّمٍ^(٥)
 إِذَا قِلْتُ مِنْ حَرِّ الْهَجِيرِ بَظْلَهُ فَقُلْ أَنَا ضَاخٌ تَحْتَ ظِلِّ الْمَقْلَمِ^(٦)
 وَخَيْرُ النُّفُوسِ السَّيَالَاتُ عَلَى الْقَنَا وَخَيْرُ الْمَنَآيَا تَحْتَ أَزْرَقِ سَلْجَمٍ^(٧)
 وَمِنْ قِصَائِدِهِ الطَّنَانَةُ الْقِصِيدَةُ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: [مِنْ الْكَامِلِ]

وَعَدْتُ بِوَصْلِ عَمِيدِهَا بِشُرٍّ صَدَقْتُ وَمَا صِدْقُ الْمُئْنَى صَبْرُ^(٨)
 وكم له من قصائد فرائد. وهو الآن في الحياة إلا أنه قد ضَعُفَ عن الحركة بسبب فالج أصابه، ولعله قد جاوز السبعين، (ومات) يوم الأربعاء ثامن محرم سنة ١٢١٤ أربع عشرة ومائتين وألف بصنعاء.

٣٠

(أحمد بن حسين بن حسن)

ابن علي بن يوسف بن علي بن أرسلان^(٩)

بالهمزة، وقد تُحذف في الأكثر، بل هو الذي عليه الألسنة، الشهاب أبو العباس الرُّمَلِيُّ الشَّافِعِيُّ، نزيل بيت المقدس، ويُعرف بابن رسلان. ولد في سنة ٧٧٣ ثلاث

- (١) المعاهد: جمع المعهد: محضر الناس ومشهدهم. أصاخ له، وإليه: استمع.
- (٢) الصَّوْبُ: المطر. المُثْجَمُ: السريع الدائم.
- (٣) أصغى: أنصت. الصَّدَى: رجع الصوت.
- (٤) الْمُطَهَّمُ من الخيل: الكريم الحسب. الْجُرْدُ: جمع أجرد: السريع، أو القصير الشعر من الخيل. الخميسان: الجيشان. أدهم: أسود.
- (٥) مُطَهَّم: تأم، أو حسن جميل.
- (٦) ضاخ: صار في الضحى، أو بارز للشمس.
- (٧) القَنَا: الرماح. السَّلْجَمُ: الطويل، وأزرق سلجم: نصل طويل.
- (٨) العميد: المشغوف حبًا.
- (٩) ترجمته في: شذرات الذهب: ٢٤٨/٧؛ الضوء اللامع: ٢٨٢/١؛ كشف الظنون: ١٥٤، ٥٩٤، ٥٩٢؛ إيضاح المكنون: ٣٣٠/١، ٥٨٩/٢؛ معجم المؤلفين: ٢٠٤/١؛ الأعلام: ١/١١٧.

وسبعين وسبعمائة، وقيل: في سنة ٧٧٥ خمس وسبعين وسبعمائة برملة، ونشأ بها لم يُعلم له صَبْوَة، فحفظ القرآن وله نحو عشر سنين، وكان في الابتداء يشتغل بالنحو واللغة والشواهد والنظم. وقرأ الحاوي على القلقشندي، وابن الهائم. وأخذ عنه الفرائض والحساب، وولي تدريس الخاصكية، ودرّس بها مدة ثم تركها، وأقبل على الله، وعلى الإشتغال تبرّعاً، وعلى التصوّف. وجلس في الخلوة مدة لا يكلم أحداً. وأخذ عن جماعة من أهل الطريقة، وسمع من جماعة في الحديث وغيره، حتى صار إماماً في الفقه وأصوله والعربية، مشاركاً في الحديث والتفسير والكلام وغير ذلك، مع حرصه على سائر أنواع الطاعات من صلاة وصيام وتهجد ومرابطة بحيث لم تكن تخلو سنة من سنينه عن إقامة على جانب البحر قائماً بالدعاء إلى الله سرّاً وجهراً، أخذاً على أيدي الظلمة، مؤثراً محبة الخمول، والشغف بعدم الظهور، تاركاً لقبول ما يُعرض عليه من الدنيا ووظائفها، حتى أن الأمير حسام الدين حسن جدّد بالقدس مدرسة، وعرض عليه مشيختها، وقرّر له فيها كلّ يوم عشرة دراهم فضّة فأبى، بل كان يمتنع من أخذ ما يُرسل به هو وغيره إليه من المال ليفرّقه على الفقراء، وربما أمر صاحبه بتعاطي تفرّقه بنفسه. وله محافظة على الأذكار والأوراد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مُعرضاً عن الدنيا وبنيتها جملة. حتى إنه لما سافر الأشرف إلى (آمد)^(١) هرب من الرملة إلى القدس في ذهابه وإيابه لئلا يجتمع به. وما زال في ازدياد من الخير والعلم حتى صار المشار إليه بالزهد في تلك النواحي. وقُصِدَ للزيارة من سائر الآفاق، وكثرت تلامذته ومريدوه، وتهدّب به جماعة، وعادت على الناس بركته (قال السخاوي): وهو في الزهد والورع والتقشف واتباع السنة وصحة العقيدة كلمة إجماع، بحيث لا أعلم في وقته من يدانيه في ذلك، وانتشر ذكره، وبعد صيته وشهد بخيره كل من رآه. انتهى. وقال (ابن أبي عذينة): وكان شيخاً طويلاً تعلوه صُفرة، حسن المأكل والملبس والملتقى. له مكاشفات ودعوات مستجابات. ولما اجتمع مع العلاء البخاري الآتي ذكره إن شاء الله، وذلك في ضيافة عند ابن أبي الوفاء، بالغ العلاء في تعظيمه بحيث أنه بعد الفراغ من الأكل بادر يصب الماء على يديه. ورام الشيخ فعل ذلك معه فما مكّنه. وصرّح بأنه لم ير مثله. واجتمعا اجتماعاً آخر عند قدوم العلاء البخاري إلى القدس، فإنه اجتمع به ثلاث مرات: الأولى، جاء إليه مُسلماً وجلسا ساكِتَيْن، فقال له الشيخ ابن أبي الوفاء: يا سيدي هذا ابن رسلان. فقال: أعرف، ثم قرأ الفاتحة وتفارقا. والثانية، أول يوم من رمضان، اجتمعا وشرع العلاء يُقرّر أدلة ثبوت رؤية هلال رمضان بشاهد، ويذكر الخلاف في ذلك، وابن رسلان لا يزيد على قوله نعم،

(١) آمد: مدينة عظيمة في ديار بكر، بُنيت بحجارة سود، وكانت كثيرة العيون والآبار والبساتين، ويُنسب إليها عدد كبير من العلماء. (معجم البلدان: ٥٦/١).

وانصرفا. ثم إنَّ العلاء في الليلة العاشرة سأل ابن أبي الوفاء في الفطر مع ابن رسلان، فسأله فامتنع. فلم يزل يلح عليه حتى أجاب. فلما أفطر، أحضر خادم العلاء الطشت والإبريق بين يدي العلاء، فحمل العلاء الطشت بيديه معاً، ووضعه بين يدي ابن رسلان، وأخذ الإبريق من الخادم وصبَّ عليه حتى غسل، ولم يحلف عليه؛ حتى ولا تشوُّش، ولا توجه لفعلٍ نظير ما فعله العلاء معه. غير أنه لما فرغ العلاء من الصبِّ عليه دعا له بالمغفرة، فشرع يؤمِّن على دعائه ويبكي. وله مصنفات، منها في التفسير قطع متفرقة، وشرحه «لسنن أبي داود»، وهو في أحد عشر مجلداً. وشرع في «شرح البخاري»، ووصل فيه إلى آخر الحجِّ في ثلاثة مجلدات. وشرح «جمع الجوامع» في مجلد، و«منهاج البيضاوي» في مجلدين، و«مختصر ابن الحاجب»، وله غير ذلك مما يكثر تعداده. وله نظم في أنواع من العلم، كالمنظومة في الثلاث القراءات الزائدة على السبع، وفي الثلاث الزائدة على العشر. وما زال رحمه الله على وصفه الجميل حتى (مات) في يوم الأربعاء رابع عشر شعبان سنة ٨٤٤ أربع وأربعين وثمانمائة. وحكى السَّخَاوِيُّ في «الضوء اللامع» أنه قيل: لما ألحد سمعه الحُفَّار يقول، ربِّ أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين. ورآه حُسين الكردي أحد الصالحين بعد موته، فقال له: ما فعل الله بك، قال: أوقفني بين يديه وقال: يا أحمد أعطيتك العلم فما عملت به؟ قال: علمته وعملت به، فقال: صدقت؛ يا أحمد تَمَنَّ عليَّ. فقلت: تغفر لمن صَلَّى عليَّ. فقال: قد غفرت لمن صَلَّى عليك، وحضر جنازتك. ولم يلبث الرائي أن مات.

٣١

(أحمد بن الحسين الرُّقَيْحِي) (١)

نسبة إلى الرُّقَيْحِ بضم الراء وفتح القاف وسكون المثناة التحتية بعدها مهملة. وهو بلدة من أعمال يَحْصُب؛ ثم الصنعاني الأديب صاحب المقطعات الفائقة الرائقة. وكان يتعيش بالصباغة، فلا تزال كُفُّه سوداء كَأُكُفِّ الصَّبَاغِينَ، فعوتب على ذلك فقال: [من البسيط]

المجدُّ في العلم والكفُّ المُسود مِن
فَن الصَّبَاغَةِ لا في صُحبة الدُّولِ

فما سَعَيْتُ إلى هذا وذاك معاً
إلا لِأُجمَعَ بينَ العِلْمِ والعَمَلِ

ومن مقطعاته: [من الخفيف]

قَدْ بَلَغْتَ الكَمالَ في كُلِّ مَعْنَى
ثم تَرَجُّو أن تَسَلَّمَ الحُسَّادَا

(١) ترجمته في: الأعلام: ١١٨/١.